حكايات صوفية

للاستاذ محمد لبيب البوهي

لا يجزع الصوفى من الكارثة تصيبه فى دنيـــاه . بل ربما وجد فى الاذى يصيبه من الناس سنة هى دائما أبدا من نصيب الاولياء . فاكثر الناس بلاء الامثل فالامثل ــ والنبى صلى الله عليه وسلم مكث ثلاثة عشر عاما كلها جلال وشدة وبلاء .. وحين انتقل الى المدينة لم تكن له راحة بين جهاد ومعاناة وكذلك أصحابه من بعده ، وجلهم ماتوا مقتولين . فقد مات الصديق مسموما ، ومات الفاروق مقتولا وعثمـــان مذبوحا وعلى مضروبا بالسيف والحسن مسموما والحسين مقتولا حتى لعبوا برأســـه بالشام ثم دفن بمصر .

ومن الحكايات المشهورة فى هذا الباب قصة فقهاء بغداد مع الجنيد فقد سعوا الى المتوكل بأنه تزندق هو وأصحابه فقال لهم المتوكل وكان به ميل الى الجنيد .. يا أعداء الله ما أردتم الا أن تفنوا أولياء الله من الارض واحدا بعد واحد ، قتلتم الحلاج وانتم ترون له كل يوم عبـــارة ولا تزدجرون وأنتم تريدون اليوم الايقاع بالجنيد . ولكنى أرى أن لا سبيل لكم اليوم حتى تغلبوه بالحجة وتكشفوا زيفه وزندقته فاجمعوا له الفقهاء واجعلوا له معهم مجلسا .

فأجابوا المتوكل الى ما طلب وجمعوا له كثيرا من الفقهاء من شـــتى الامصار ، فلما اجتمعوا فى مجلس المتوكل بعث الى الجنيد ، فأتى مع نفر كبير من مريديه حتى اذا كانوا بباب القصر دخل الجنيد وترك أصحابه بالباب . فأدى حق الخليفة من التحية والتعظيم وجلس فقام أحد الفقهاء اليه يسأله فسمعه القاضى على بن أبى ثور فقال : هل تسألون الجنيد ..؟

قالوا : نعم فصـــاح .. أفيكم من هو أفقه منه ــ فقالوا لا .. فأجاب يا عجبا .. هو أفقه منكم فى علمكم وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه فكيف تسألون رجلا لا تدرون ما يقول .. فبهت القوم ثم سكتوا حتى قال قائل منهم .. ما العمل ياقاضى المسلمين .. ؟ أشر بما شئت .. فأمرك مطاع

فرد القاضى وجهه الى الامير وقال .. يا سيدى دع الجنيد هنا وارسل الى أصحابه حامل سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادى فيهم .. من القوم الى السيف .. ؟ فأول من يقوم منهم نسأله .

فقال الخليفة يرحمك الله ــ لم تريدنا أن نروع القوم ؟ فأجاب القاضى يا أمير المؤمنين ان الصوفية يحبون الايثار على أنفسهم حتى بأرواحهم

فالرجل الذى سيقوم سيكون أكثر الناس صدقا لطريقته وفى ذات الوقت أكثرهم جهلا لانه سيؤثر أهل العلم منهم بالحياة ليمتد علمهم . فاذا قدم أجلهم جعلناه يناظر الفقهاء وعند ذلك لن يغلبوه ولن يغلبهم فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن تكون النجاة منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية بالاســـلام فانه قطب الايمان فى عصرنا وان قتل العلماء فهى مصيبة عظيمة .

فاقر الخليفة ما ذهب اليه القاضى . وخرج حامل السيف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعودا ناكسى رؤوسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم أفيكم من يقوم الى السيف ، فقام اليه رجل يقـــال له أبو الحسن النورى وثب قائما كالطير فقال له حامل السيف .. يا هـــذا أعلمت لما قمت له .. ؟

فقال نعم — ألم تقل أفيكم من يقوم للسيف ؟ فقال حامل السيف نعم — فأجاب الرجل .. علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج الى دار الفوز .. وان أوثر أصحابى بالعيش ولو ساعة ولعلى أقتل فينطفىء الشر بى ويسلم جميعهم .

ولما جىء بالرجل الى مجلس الفقهاء سأله القاضى ..

من أنت .. ؟ ولم خـــلقت ؟ .. وما أراد الله بخلقك واين هو ربك منك .. ؟

فأجاب الرجل — ومن أنت أيها السائل .

فقال أنا قاضى القضاة ..

فقال الرجل .. اذن لا رب غيرك ولا معبود سواك انت قاضى القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى فأين النفخـــة فى الصور التى قال الله فى شأنها « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله** » اننا ممن صعق أم ممن شاء الله ؟

فبهت القاضى هنيهة ثم قال : يا هذا جعلت منى الها .. !! قال : معاذ الله بل انت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة . وليس قاضى القضاة الا القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه اضاقت عليك الاسماء — أما كفاك قاضى المسلمين — ! أو أحد الفقهاء أو أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة — اذ استكبرت ان تقول أنا على بن أبى ثور — وما زال بالقاضى يقرعه حتى بكى القاضى . فلما أفاق القاضى . قال يا أبا الحسن أجبنى عن مسألتى وأنا أتوب الى الله بين يديك .

فقال اذكر مسألتك فانى نسيتها .. فأعاد عليه السؤال .. فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ؟ - ثم قال حسبى الله - ونظر عن يساره مثل ذلك ثم نظر امامه وقال أتجاوبه . ؟ ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه الى القاضى وقال :

أما قولك من أنت ، فأنا عبد الله لقوله تعالى « **ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا** » - وأما قولك لماذا خلقت - فكان الله كنزا لا يعرف فخلقنى لمعرفته قال تعالى « **وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون** » أى ليعرفون .. وأما قولك ما أراد الله بخلقى فما أراد بى الا كرامتى قال تعالى «**ولقد كرمنا بنى آدم**» وأما قولك أين ربك منك فهو منى حيث أنا منه لقوله تعالى « **وهو معكم أينما كنتم** » .. فهو معنا أينما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى اليه وان كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وان كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة وان كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وان كنا بالشرك كان معنا بالعقاب

قال صدقت .. فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال أخبرنى أين أنت منه أعلمك أين هو منك

قال صدقت يا على فيما قلت ولكن اخبرنى بمسألة ثانية ، لم ملت عن يمينك حين سألتك ؟

قال أعز الله الفقيه ان المسألة التى سألتنى عنها لم يكن عندى فيها جواب لاننى ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتنى عنها لم يكن عندى ما أخبرك به فيها فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى اليمين فقلت أتجاوبه أنت فقال لى لا علم لى فقلت حسبى الله وفوضت أمرى الى الله وكذلك فعلت عن شمالى وأمامى ثم أخيرا سألت قلبى عن سره عن ربه ما أجبتك به

فقال له القاضى - يا هذا أتكلمك الملائكة ؟

فأجاب .. ويحك أما ترى رب الملائكة حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها

فقال القاضى : الآن صح عندى حمقك وثبت عندى كفرك وزندقتك فما تريد أن أفعل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك

فأجاب .. ويحك أما ترى رب الملائكة كلمنى حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها

تقضى ولا يقضى عليك فاقض بما شئت

فرد القاضى رأسه الى المتوكل وقال يا أمير المؤمنين (**اترك هؤلاء فان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم . هؤلاء مصابيح الدين .. ودعائم الاسلام**)

فعند ذلك عطف الخليفة على الجنيد

أما بعد فهذه هى بعض محن الصوفية

محمد لبيب البوهى